و للروح ارتواء

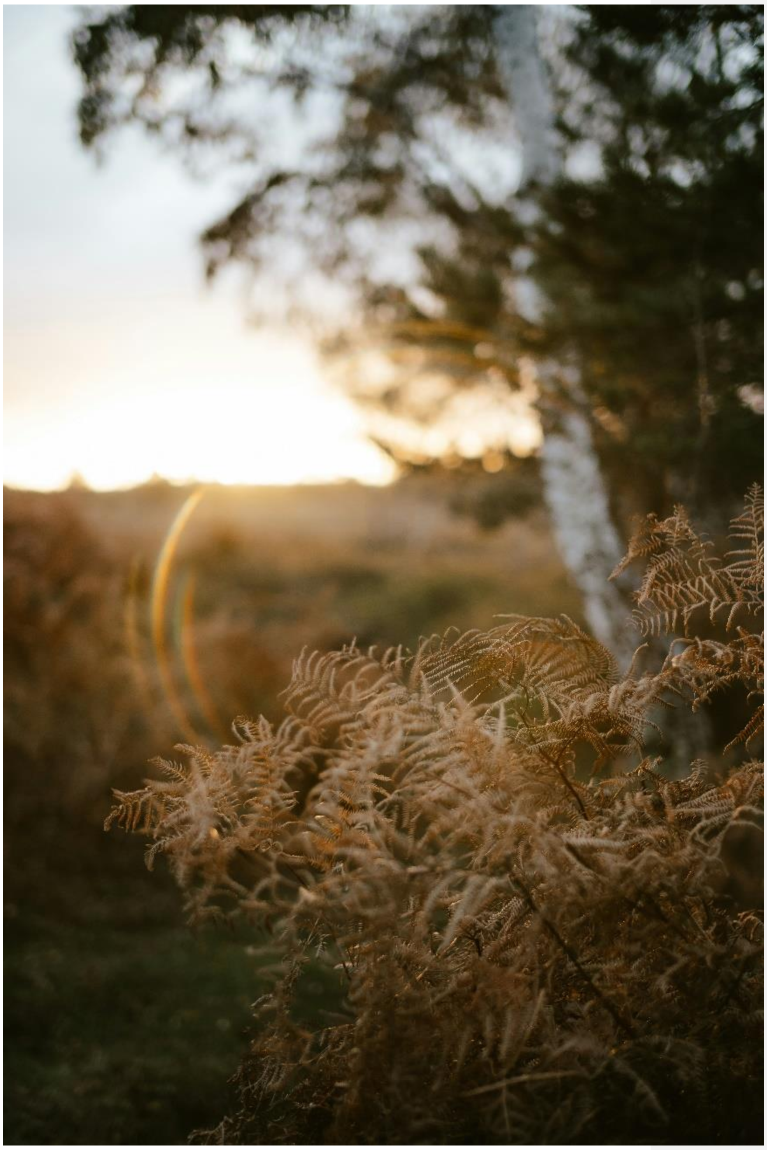

تفريغ محاضرة

إن الله حيي كريم

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٠ / ٤ / ١٤٤٣ هـ

إن الله حيي كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أما بعد:

فحديثنا اليوم عن صفة من صفات الله عز وجل، وقد سبق لنا في دروس ماضية تناول عدد من أسماء الله الحسنى منها اسم الله الأعظم (الله) واسمه الهادي والتواب والقريب والمجيب والفتاح والكافي والنور والحافظ والرازق والقوي والمتين والعزيز والشافي والحي القيوم والواحد الأحد والكريم الأكرم والجبار والستير.

واليوم حديثنا عن الشق الثاني من اسم الله الستير الذي جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله حييٌّ ستّير)

ففي الحديث:

حينما رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلًا يغتسل في الفضاء، يعني في مكان مكشوف أمام الناس، كره النبي فعله واغتساله مكشوفًا لا يستتر عن أعين الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

إذن نتحدث اليوم عن اسم الله (الحيي) سبحانه.

وجاء ذكره في حديث آخر مشهور: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

فالله عز وجل إذا من صفاته ومن كمالاته أنه يستحيي وحياؤه يليق بجلاله وكماله.

وفي حديث آخر شاهدٌ على حيائه سبحانه: حديث النفر الثلاثة الذين جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام في مجلس له مع صحابته، فوقف اثنان ورجع الثالث، فالأول وجد فُرجة يعني مكانًا شاغرًا بين الناس فجلس، وأما الثاني فجلس بعيدًا لم يزاحم أو يأخذ موقعًا قريبًا من رسول الله، والثالث رجع..

فلما انتهى المجلس قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»[أخرجه البخاري، صحيح]

(وأما الثاني فاستحيا، فاستحيا الله منه) يعني جلس حياءً من الناس لا ابتغاء السماع.

(وأما الثالث)؟ فماذا؟ (فأعرض فأعرض الله عنه) فلم يقترب ولم يلقِ سمعه أو يهتم.

فكل واحد منهم جُوزي بنفس عمله الذي عمله.

فالذي اقترب قربه الله عز وجل، والذي استحيا استحيا الله منه، والذي أعرض أعرض الله عز وجل عنه.

إذن سؤالنا المهم: **ما هو هذا الحياء؟ وكيف يتصف الله عز وجل بهذه الصفة؟**

نلاحظ عندنا أن الحياء مربوط بصفة الخجل، ودائمًا ما يطرأ في الذهن سلوكيات ضيقه من تطبيقاته في الحياة، ولكن لنرَ ماذا يقول العلماء عن الحياء؟

قالوا الحياء من مادة الحياة فلا حياة لمن لا حياء له.

يعني من لم يتصف بالحياء فحياته ناقصة، لأنها من أصول أخلاق الإسلام وأرشد إليها النبي عليه الصلاة والسلام ووصّى بها.

وقالوا أيضًا: أن الحياء صفة تعترض الإنسان، وانقباض في النفس من القبائح وفعل المعائب، كالحياء من التعرّي والحياء من الكلام الفاحش ومن الكذب، والحياء من أفعال تعكس وجهًا من الخير وأريد به الشر، فهذا الانقباض هو الحياء، وهو شعور أيضًا بانكسار في النفس من فعل القبيح، وتخوف من نظرات الناس تجاه الفعل القبيح.

من تعريفات الحياء كذلك: القول بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع التقصير في حق ذي الحق.

وهنا إضافة على المعنى الأول للحياء وهو الاستحياء من فعل المعائب وترك القبائح، وهي الاستحياء من التقصير في حق ذي الحق.

ومن هو حق ذي الحق؟ هو الله عز وجل، فيستحي الإنسان أن يقصر في حق الله الرب المنعم الذي أمدني بالعمر ورزقني فيه العافية، ولطف بي حينما لم يلطف بي أحد، وحفظ أحبابي، فلا أجازيه بالتقصير، فالإنسان يستحي أن يقابل نعم الله عز وجل بالتقصير.

كلّ ما ذكرناه هي معانٍ للحياء في حقّ المخلوقين،

أما الحياء في حق الله تعالى ومعنى أن (الله حيي) فهذا حديثٌ يفسر:

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

تخيل إنسانًا قام في الليل يصلي لله عز وجل، يقرأ من القرآن ما شاء الله له أن يقرأ قليلًا أو كثيرًا، ثم يرفع يديه للسماء متضرعًا مبتهلًا يشكو ضعفه وقلة حيلته، ويعلم أن ربه ينزل للسماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وهو يعلم أنه العبد المخطئ كثير الذنوب، ولكنه يرجو ويطمع في فضل الكريم، فلا يملّ من تكرار يا رب يا رب يا رب لا تجعلني أشقى خلقك بك، ويا رب عبادك سواي كثير وليس لي رب سواك، وهكذا بمنتهى التذلل والانكسار يرفع يديه إلى الله عز وجل، في هذا الموقف الله سبحانه يستحي أن يردّ يدي عبده صفرا، فلا يمكن أن ينزل العبد يديه ويختم دعاءه وربه لم يستجب له، واعتقاد عدم استجابة الرب من سوء الظن به.

والآن تخيل كم الدعوات التي دعوتها الله فاستجابها لك..

ونعلم أن إجابة الله للدعوة يكون على ثلاثة أحوال: إما أن يعطيك ما سألت، وإما أن يدخرها لك يوم القيامة، لأنه سبحانه أعلم بك منك أنه لو أعطاك إياها في الدنيا فستكون شرًا لك، فتأتي يوم القيامة وترى أجورًا كثيرة هي ما خبأها الله لك من دعواتك في الدنيا يعطيك إياها أحوج ماتكون لها، والثالث أن الله يصرف عنك من الشر مثل ما دعوت، يعني أن تدعو الله بشيء معين فما يستجاب لك، لكنه يصرف عنك من الشر ما لا تدري عنه ولا تعرفه.

والنبي عليه الصلاة والسلام لما أخبر أصحابه بهذا ابتهجوا وقالوا: إذن يا رسول الله نُكثِر، قال لهم: الله أكثر. فأنت تكثر لأن الله كريم وعليم يعلم مصلحتك وما يحسن لك.

إذن حياء الله عز وجل هو ترك ما لا يتناسب مع كمال صفاته وكمال جلاله وجماله.
فإذا قلنا بأن الله هو العلي الأعلى في كل شيء، وإذا أعطى أعطى عطاء الكريم فعطاؤه الأعلى،
وإذا رحم فالله عز وجل يرحم وهو الأعلى فلا شيء فوق رحمته، ومن حيائه سبحانه من عباده أن يرحمهم وأن يعطيهم.
وكذلك من صفات الله مع كمال قدرته وكمال جبروته على عباده أنه لا يفضح عبده من الذنب الأول، وهذا من حياء الله عز وجل فالعبد إذا أذنب ذنبًا لأول مرة فلا يمكن أن يهتك الله ستره.
وهذا يذكرنا بقصة السارق الذي اقتادوه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما جاؤوا يقيمون عليه الحد قال: إنما هي المرة الأولى، فقال عمر: كذبت إن الله لا يفضح عبده من المرة الأولى، فلما سبروه فإذا هو قد سرق قبلها مرات.
إذن الله لا يهتك ستر العبد من المرة الأولى، ولكن أحيانًا يظن الإنسان أن هذه هي المرة الأولى، وفي الحقيقة يكون قد هتك الستر بمقدمات ظنّها لا شيء، وبخطوات كثيرة لم يحسبها، ولكن كانت هذه المقدمات هي من أوصلته للذنب الكبير، فأنت هيأت للذنب بخطوات كثيرة سترها الله عليك، فلا يعتبر وقوعك في الذنب الكبير "المرة الأولى".
ولذلك على قدر المشاهدة لله في قلبك على قدر ما يكون الحياء، وعلى قدره يكون الإيمان،
ولذلك من زاد حياؤه زاد إيمانه، والحياء والإيمان قرينان إذا ارتفع الحياء ارتفع الإيمان.

فعندما ترى إنسانا قد رمى الحياء فهناك مشكلة في إيمانه، وهذا ليس صفةً للجرأة، كما أنها ليست صفة يعتز فيها الإنسان، فمتى ما تلاشى الحياء يصبح الإنسان لا يردعه قبيح أو عيب ولذلك كثر سماعنا لمثل هذا الكلمات: (أنا كذا، أنا متسقة مع نفسي، أنا ما أقابل الناس بوجهين)، إذا لم تستحِ من الله ولم تستحِ من خلقه زال الحياء وزال الإيمان.

والحياء ليست صفة ضعف ولا هوان، ولا تتنافر مع صفات القوة والجرأة والشجاعة:

ولذلك من صفات النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[أخرجه البخاري، صحيح] وهو نفسه الذي من صفاته الشجاعة، فكان من أشجع الناس، حتى الفرسان من الصحابة في المعارك يصفونه بقولهم: والشجاع منا للذي يُحاذيه، يعني عندما تبدأ المعركة فالشجاع هو من يجاريه ويأتي بجانبه، فهو يقاتل قتال الشجعان لا يهاب ولا يتوارى، بل بصدره يكون في الصف الأول، فإذا سمعت أن هذا الشجاع القوي وصفوه بأنه (أشد حياء من العذراء في خدرها) هل ستفهم أنه شخصية ضعيفة أو أنه شخصية لطيفة؟ لا، فقد كان فارسًا لا يُطيق أحدٌ أن يُجاريه في المعارك.

الحياءُ شعبة من شعب الإيمان:

ولأجل منزلة الحياء هذه من الدين، يهمنا أن نضعها في الموضع الصحيح، وأن نراجعها في أنفسنا ونعلم أن الحياء كلما زاد زاد الإيمان، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[أخرجه مسلم، صحيح] لاحظوا لم يقل والصلاة شعبة من الإيمان! ولم يقل الحج أو الصيام شعبة من الإيمان فهذا معلوم، النبي عليه الصلاة والسلام نبّه إلى هذه الصفة بالذات: (والحياء) ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن]

ومعاني العبارات:

١- فليحفظ الرأس وما حوى: الرأس عبارة عن عقلك ونظرك وسمعك والحواس التي تمد العقل، فأول الحياء حفظ الرأس من المسكرات المادية والمعنوية، المادية: خمر، مخدرات، حشيش، أي نوع يدمن العقل عليه ويذهبه .والمعنوية: أشياء تجرح في العقل، كمنظر تراه، أو كلام تسمعه، أو شهوات تتأجج عليك ككلمات أو غيرها تفعل فعلها في عقلك فتسكره وتشغلك في صلاتك فتتذكر ذاك المقطع وتلك اللحظة، إذن عندنا مسكرات مادية ومعنوية تجعل عقلك في ضباب وعليه غمامة ،وهذا المعنى الأول.

٢- والبطن وما وعى: يعني ما يدخل منطقة البطن من الأكل، فيحرص أن يكون حلالًا، وكذلك بعض العلماء أدخل فيها الفرج، فيحفظه من مقدمات الزنا.

٣- وليذكر الموت والبلى: ومن كان كذلك فإنه يكون إنسانًا قد عرف الحياة على حقيقتها، وأنها لا تدوم لأحد وليست دارًا للخلود، وإنا لا نزال نفقد أحب الأحباب ونودعهم القبور، وتستمر الحياة بعدهم حتى يأتي يومنا المكتوب، فمن يفكر بهذه الطريقة ويتذكر هذه الحقيقة دومًا ستكون قراراته أصح ونظرته للحياة أصوب، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: "...، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن]

إذن الحياء ليس هو الحياء من أشياء معينة فقط أو رهاب اجتماعي، هناك معنى أدق وأعمق، حياء حقيقي بين العبد وربه، وهذا الحياء لا يأتي إلا بخير، ولنتذكر لما مر النبي عليه الصلاة والسلام على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول له: (قد أضر بك الحياء)، يعني يحثه أن يأخذ حقه ولا يستحي، فيرد عليه أنه يستحي أن يطالب ويأخذ حقه من شيبة كبير، فمر النبي عليه السلام وسمع عتابه فقال له: «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[أخرجه البخاري، صحيح] ، يعني اتركه على هذه الصفة الكريمة.

فالذي يجعلنا نستحي من الله حق الحياء أن نعلم أن الله مطلع علينا، قال بعض السلف: علمت أن الله مطلع علي فاستحييت منه أن يراني. ولذلك قال العلماء هناك نوعان من التوبة: توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة، فأما توبة الإنابة فأن تخاف من الله فتخشى أن تموت على معصية وتخشى من عذاب

القبر وعذاب النار فلا تريد أن تختم حياتك بهذا الذنب، فهذه توبة الإنابة (۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)[سورة الزمر ٥٣-٥٤] هؤلاء أسرفوا على أنفسهم فخافوا ألا يغفر الله لهم فقال لهم الله لا تقنطوا ولا تيأسوا وأنيبوا، هذه التوبة الأولى، وهناك ناس يتوبون ليس خوفا فقط، بل استجابةً لله تنشأ من الشعور بالحياء والتقصير، فالإنسان يرى نفسه مقصرًا في حق الله عز وجل لا يحب أن يعمل الخطأ،

وهناك من الناس من هو مقصر في حق الله، ويدعو مع تقصيره أن يقدّره الله على ترك الذنب، وهو لم يتخذ خطوة حقيقية جادة، مغترّ بنعم الله عليه من جمال وصحة وعافية وإكرام، ومنهم من أخذته الجرأة لأن يفعل الذنب فيرى ستر الله له وإمهاله له كأنه رضى عليه، فتقول نزعت حجابي وحذرتموني من غضب الله وما تغير من حالي شيء، وفعلت وفعلت وما زالت النعم تحوطني، وهم لا يعلمون أنما يمد لهم الرحمن مدا فإذا أخذهم كان أخذ عزيز مقتدر، وهناك من إن رأى نعم الله عليه، فحصل على ترقية أو زيادة في الراتب أو رأى أبواب الخير تفتح ثم يدرك أنه ما زال قائمًا على معاصي فيستحي من الله حياء التقصير، فيتوب توبة الاستجابة أن يا ربي تبت إليك حياءً من هذا التقصير، وهذا التفريط وهذا البعد الذي لا زلت فيه. إذن هذان نوعان من التوبة: توبة الاستجابة وتوبة الإنابة، فالأوائل تابوا خوفًا، والآخرون تابوا حياءً من الله حينما رأوا نعم الله عليهم تترى.

ولذلك، يقول الشاعر:

فإذا خلوت بريبةٍ في ظلمــــةٍ   والنفسُ داعية إلى العصيـــانِ
فاستحي من نظرِ الإله وقُل لها: إن الذي خلق الظلامَ يراني.

يعني إذا خلوت بفعل حرام في مكان لا يراك فيه أحد، والله يراك وهو في ذات الوقت منعم عليك ومكرمك، ونفسك تعصي الله، فاستحي من نظر الإله، وازجرها قل لها لا تظنين أنك لوحدك، فالذي خلق الظلام يراك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من قلّ حياؤه، قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه!"

وهكذا تمر عليك أمور ما اتّضحت لك أنها هي حرام محض، لكن في نفسك منها شيء، فأنت غير مطمئن أو تشعر أن فيها حراما أو أنه لن يرضي الله، فتتركه حياءً وورعًا.

ذهاب الحياء من عقوبات المعاصي:

فإذا وجدت إنسانًا لا يستحيي من الله ولا من الناس، فاعلم أن من عقوبات المعصية أن يموتَ الحياء في القلب.

كيف نرى حياء الله سبحانه في كتابه؟

الله سبحانه وتعالى يكنّي عن الأشياء التي يُستحيا منها في القرآن، فيُعطيها أسماء أحسن وألطف، فيعرف القارئ مقصود الله سبحانه دون ذكر لفظ الشيء المعروف في حياة الناس.

منها مثلًا: ما يحصل بين الرجل وامرأته من معاشرة ،فأنت لا ترى تصريحًا مباشرًا في القرآن، ولذلك الأطفال يقرؤون القرآن فما يمرون على ألفاظ مشينة أو ناشزة أبدًا، ومع كون هذا القرآن منهج حياة لكل الناس كبارًا وصغارًا وذكورًا وإناثًا إلا أنه ليس فيه لفظة تشعر أنها ناشزة فقد عبّر الله عنها بأحسن تعبير.

مثالٌ آخر في قصة يوسف عليه السلام، وفيها ذكرٌ لقصته مع امرأة العزيز، فلما أتى مشهد مراودة امرأة العزيز وما بها من ألفاظ {وَرَاوَدَتْهُ} - {وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف:٢٣] كان له ذكر وحيد في القرآن لم يُعد في مواضع أخرى، فتكرار الشهوات مما يلطّخ العفة.

فقصة يوسف من أجمل القصص وهي أصلًا مما يُربّي على العفّة، في هذا الموطن بالذات، وكم من فتاة أو رجل تعرّضوا لمثل هذا الموقف فقالوا ما قال يوسف، تراءت لهم قصّة يوسف عليه السلام فقالوا: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف:٢٣]

ومما نلحظه في المجالس النسائية للأسف وتحت دعوى (كلنا متزوجات) أو (كلنا بنات) الحديث عن الخوادش كأنه أمر عادي، فيتحدثون عمّا يؤجج الشهوات، وفي تفاصيلها، فتجد بينهم من ينطبق عليها وصف (المؤمنات الغافلات) التي لا تعرف عن هذه الأمور فتشتعل فيها الشهوة، وتنقلها لحالٍ أسوأ.

إذن ليس عاديًا تناقل أخبار الفاحشة والفحش، ولا رؤية من يثير هذه الفواحش بحركات الجسم والتفتّح والاستعراض، ولا الحديث عنهم في المجالس والبرامج، فكلّ هذا مما يلطخ الحياء في أهل العفة.

فهذا القرآن حكى عن المشهد في آيتين، وبلفظ يكسوه الحياء، فكيف بمن يتحدث عن أهل الفاحشة في كل مجلس!!

فلذلك قال ابن القيم -رحمه الله-: "**للحياء عشرة أوجه**" وهي:

١- **أولها: حياء الجناية.**

وهذا الحياء الذي حصل لآدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة.

جاء في الآثار عن هذه اللحظة: أنه لما أكل الشجرة وتساقط عنه لباسه، فرّ آدم في الجنة!

فنظر إليه الله عز وجل قال: أفرارًا مني يا آدم؟ يعني إلى أين تهرب مني؟

فقال: لا ياربّي، بل حياءً منك!

يعني أعرف يارب أنك تنظر إليّ وتراني، لكن أنا يملؤني الحياء أنك تنظر إليّ يارب.

أحد المواقف التي ينطبق عليها هذا النوع من الحياء، فتاة فعلت ذنبًا لأول مرة في حياتها، وفي لحظة استيعابها لعظم هذا الذنب أصابها خوف وفزع كبير، تقول دخلت البيت أركض، دخلت غرفتي ما استطعت الجلوس ولا التمدد على السرير، ولا شعوريًا دخلت الخزانة وجلست في أحد أدراجها، متيقنة أن الله يراني ولكن يكسوني الحياء منه، فلا أريده أن يراني على معصية!

ولنسأل أنفسنا: متى آخر مرة استحيينا من نظر الإله؟ وكم مرة فعلنا الذنب بجرأة وشجعنا عليه الآخرين؟ وكم مرة ما اكترثنا ونقلناه وصورناه؟

٢- الحياء الثاني: هو حياء التقصير.

حياء التقصير يختلف عن حياء الجناية لمن فعل الذنب، أما حياء التقصير فهو لم يفعل ذنبًا، بل يفعل الصالحات، ولكنه يشعر أنها في حق الله عز وجل ليست شيئا وأنها قليلة في بحر نعم الله التي يغدق علينا بها.

تعرفون جميعكم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كان يقول: في كلّ يوم أجدد إسلامي، وبعدُ لم أسلم إسلامًا جيدًا.

من يقول هذه العبارة؟ يقولها الشيخ الذي لا يمر علينا درس إلا ونحن نذكر شيئًا من أقواله! وهو الذي يشعر أنه بعدُ لم يسلم إسلامًا جيدًا.. فماذا نقول نحن الذين نتمنى أن يكون لدينا واحد من أيام ابن تيمية؟ هل جاءنا هذا الشعور؟ أن نتمنى تجديد إسلامنا؟ أن لا نكون راضين عن طريقة إسلامنا لله، ونتوب توبة حقيقية نصوح!

هل أحسسنا بالتقصير؟

هذا التقصير هو شعور الملائكة الذين قال عنهم النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه لا يوجد شبر في السماء، أو موضع أربعة أصابع في السماء إلا وفيها ملك ساجد أو راكع، هؤلاء الملائكة الركع السجود الذين لا يعصون الله ما أمرهم إذا كان يوم القيامة وكشف الله جلّ جلاله الحجاب عن وجهه، ونظرت إليه الملائكة -الذين ما رأوا الله عز وجل قبلًا- تقول له: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك!

هذا وهم الملائكة الذين لم يتلطّخوا بذنب ولا معصية، يقولون لله: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! فماذا سنقول نحنُ؟

٣- الحياء الثالث: حياء الإجلال.

هذا الحياء يتولد من معرفة الله عزّ وجل، ففي كلّ مرة نعرف فيها اسم من أسماء الله، نزداد له خشية وإجلالًا، فكلما كنت أعلم كنت أخشى قال الله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:٢٨]

ولذلك من الجميل بين الفترة والأخرى مراجعة أسماء الله الحسنى، من دروس الرواء السابقة أو من شروحات د. نوال العيد ،وغيرها من المشايخ الثقة.

٤- الحياء الرابع: حياء الكرم.

وهذا حياء النبي عليه الصلاة والسلام وأخلاقه مع غيره، ومن القصص التي جاءت عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنه كان يستحي من الناس إذا كانوا في بيته وأثقلوا عليه في الجلوس أن يخرجهم من البيت، فيستحي منهم فيجلس، وهم الصحابة يطمعون مجلسه وقربه، ومن منهم سيخرج أصلًا؟!

واحد من هذه الأيام التي كانوا فيها جلوسًا في بيت النبي وأطالوا يوم عرس النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، -وكانت البيوت يومئذ هي عبارة عن غرف وليست بيوتا أو قصورا- فكانت رضي الله عنها الزوجة العروس على الطرف وواضعة رأسها في الجدار، والصحابة حضروا الوليمة وأكلوا، وجلسوا يتسامرون بعدها.

فأثقلوا على النبي عليه الصلاة والسلام، فخرجَ من البيـت، طاف على نسائه، ورجع مرة ثانية ووجدهم ما زالوا موجودين، فنزلت الآيات :{فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [النـور: ٥٣].

فهذا كان من كريم سجايا النبي ﷺ أنه كان يستحي من هؤلاء حياء الكرم فما كان ليطلب منهم الخروج.

٥- **الحياء الخامس: هو حياء الحشمة،**

وهذا الحياء يمكن فهمه من موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع النبي ﷺ حينما أراد أن يسأله عن أشياء شخصية تخصُّ أحكام الطهارة واستحيا أن يسأل النبي ﷺ، وذلك لمكانة فاطمة بنته عنده، يعني أنه زوج بنته ويستحي أن يسأله في بعض تفاصيل الطهارة، وهذا الحياء هو حياء الحشمة، أن تهاب إنسانا فتستحي منه.

٦- **الحياء السادس: هو حياء الاستحقار واستصغار النفس**

وأن تظن في نفسك أنّك أقل من أن تدعو الله ببعض الأدعية، فمثلًا من تعوّد دعاء: "اللهم أني أسألك الفردوس الأعلى " أو"أسألك بوجهك الأكرم الفردوس الأعلى" وأتى يوم وفعلت ذنبًا أو معصية، فتستحي من الله أن تدعوه بهذا الدعاء تستحقر نفسك، فكيف وقد فعلت هذه المصيبة ثم أدعوه أن أكون في الرتبة العالية في الجنة؟

وهذا يذكرنا بقول عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك لما قالت: وكنت أعلم أن الله منزّلٌ براءتي، ولكن كانت نفسي أحقر عندي من أن ينزل الله فيّ قرآنا يتلى، يعني كانت تظن أن شأنها أحقر من ذلك، فأنزل الله الآيات في سورة النور وهذا من عظيم قدرها رضي الله عنها.

٧-**الحياء السابع: هو حياء المحبة،**

يعتري المحبوب حينما يذكر محبوبه في غيبته، ونراه في نطاق المخلوقين مثلًا عند المتزوجين حديثًا، إذا ذُكر كل منهما عند الآخر.

٨-**الحياء الثامن: حياء العبودية**

وهذا الحياء ممزوج بين الحب والخوف، فحياؤنا من الله هو حياء عبودية، فنحن نحب الله ونخافه معًا، وهذان الأمران لا يجتمعان في المخلوقين (الحب والخوف) هذا لا يجتمع إلا مع الله عز وجل.

٩-**الحياء التاسع: هو حياء الشرف،**

كإنسان يكرمه الله عز وجل بمنصبٍ وجاه أو مكانة علمية فيستحي من الله عز وجل أن الله يعطيه هذه النعم وهذا الشرف ثم يخون الله في هذه النعمة التي أعطاه إياها الله.

١٠-الحياء العاشر والأخير: هو حياء المرء من نفسه،

وهذا حياء أهل الشرف، حياء أهل النفوس العزيزة، فلا يحتاج لأن ينظر إليه أحد حتى يستحي منه، بل هو يستحي من أن يكذب، أو يخون، أو أن ينهى عن شيء ثم يفعله، أو أن يأمر بشيء وهو لا يقوم به، فهذا الإنسان يستحي من نفسه قبل أن يستحي من أي أحد آخر.

بعد أن تعرفنا على أقسام الحياء، تبقّى لنا سؤال: مِن مَن يجب علينا أن نستحي؟

أولاً: أن تستحي من نفسك، أن تستحي أن يخالف قولك فعلك، فتأمر الناس وتخالف أمرك ونفسك، وهذا كما يقول النبي ﷺ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي قَالَ: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ»[أخرجه أحمد في الزهد، وقال الألباني: صحيح]

ولذلك أحيانا في مواقف معينة إذا خطر في بالك فُلان من الناس فتستحي لو رآك على ما أنت عليه، أو لو كنت تفعل شيئا ما ثم دخل أحدهم تستحي منه فتنتهي عنه مباشرة، مع أن الله يراك ويراقبك!

ولذلك المروءة هي أن لا تفعل الشيء سرًا إن كنت تستحي من فعله جهرًا.

ثانياً: أن تستحي من ملائكة الله الذين معك.

من المعلوم أن لكل إنسان لمّتين: لمة ملك ولمة شيطان، اللمة بمعنى الضمة، وجاء في الحديث: «إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان» , ثم قرأ: {الشيطان يعدكم الفقر} الآية [البقرة: ٢٦٨]. [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح]

فلمة الملك تذكرك بالخير وتأمرك بالخير، ولمة الشيطان تؤجج فيك الشر وحب الذنب، وتلهب عليك الفعل القبيح..

وتذكر دائمًا أنك في خلواتك لست وحدك، فهناك ملائكة عن اليمين والشمال تحصي أعمالك، وهناك شيطان حاضر يؤزك على الشر، ويفرح بغفلتك عن ذكر الله.

وأنك عندما تكون في منتهى اللذة والشهوة في قبيح تفعله، أن الملائكة يزعجها فعلك ولكنها حاضرة تسجل، وأن طبقات الأرض تحتك ترجف حينما يعصي العاصي فوقها لأنها تخاف أن يأتيها الأمر أن تنشق وتأخذ هذا الإنسان، وهو باقٍ على غفلته.

قال أحد الصحابة -رضوان الله عليهم-: إن معكم من لا يفارقكم فأكرموهم وأحسنوا إليهم واستحيوا منهم.

عبد الرحمن ابن أبي ليلى-رضي الله عنه- يقول: حينما يفسر قول الله عز وجل: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ". (ق:٢١). فيقول: ما على كل رجل منكم إذا خلا بنفسه أن يملي خيرا أو يقول خيرا.

يعني أن كل نفس ستأتي يوم القيامة ومعها سائق من الملائكة وشهيد على ما كانت تفعل، فاللازم على كل إنسان أن يعمل الخير لأن الملائكة تسجل، كأنه يمليهم ما يكتبون في الصحائف، والخلوة ليست مبرر فعل الشر لأنه لا أحد يراك، بل القضية أن بينك وبين الله سترا فلا تنتهكه.

ثالثاً: أن تستحي من الناس.

لما فسّر النبي ﷺ الإثم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِثْمُ؟ قَالَ: «إِذَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ»[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح]

فأنت ترى من الناس أفحشهم أصحاب معاصي لا يستحيون من المجاهرة بها ولو أمام الآلاف، ولكن تراهم لو دخلوا في لقاء مع شيخ دين فإن نوعًا من الأدب يلبسونه، كالتي تظهر عارية فإذا قابلت شيخًا وجدتها تلبس الأستر أو تضع شالا على رأسها، فلماذا يظهر مثل هذا التصرف منهم؟ لأن الله يأبى إلا أن يذل من عصاه، ولأنها تعرف في قرارة نفسها أنه خطأ فتستحي أن تكون عليه أمام الشيوخ.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[أخرجه مسلم، صحيح]

فهل نفهم من الحديث أنك إذا فعل الذنب وما رآك أحد أن تذهب وتجاهر به؟ ليس هذا المقصد بل المقصد أن تترك الذنب حتى في خلوتك، لأنك إذا جاهرت فأنت جمعت على فعل الذنب والمجاهرة فيه، وصرت في " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، ..." [أخرجه البخاري، صحيح]

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

استشعار المعروف مع الناس دليل استشعار المعروف مع الله عز وجل:

في حديث للنبي عليه الصلاة والسلام قال: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين شكر الناس وشكر الله.

ففي معاملاتنا مع الناس تجد أن صاحب الأخلاق العالية يهتم بشكر الناس وتقديرهم، وعكسه الذي لا يهتم ولا يمتنّ فهو لا يستشعر المعروف مع ربه أيضًا، فيمده الله بالصحة والمال والعافية، يستيقظ كل يوم من فراشه يقوم على رجليه كأن هذا هو حقه الطبيعي، ولا يستشعر أنها نعمة من الله متجددة عليه كل يوم.

وعلى نفس هذا النسق قال ابن مسعود: من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

فأصحاب شعارات (لا تستحي من أحد) يجرّئون الناس ألا يهمّهم شيء، لا مجتمع ولا أخلاق ولا أهل، المهم أن تستمتع

ولذلك كانوا يقولون إذا رأيت أن حياءك ميت، فأحيي حياءك بمجالسة من يستحيا منه.

فإذا كانت المجموعة التي تجالسها لا تنمّي فيك الحياء، بل تجعلك إلى وضع أسوأ، فهذا يعني أنك محتاج لتغيير المجموعة إلى مجالسة من يدعوك للحياء من الله حق الحياء.

ولذلك قال أحد الصالحين لابنه يعظه: "**يا بني إذا دعتك نفسك لمعصية أو لقبيح فارمِ ببصرك إلى السماء لعله أن ينهاك واستحيِ ممن هو فيها**".

يقصد أن الله عز وجل وملائكته شهود في السماوات السبع كلهم يرونك وأنت تفعل هذا الذنب،

ثم أكمل: "فإذا لم تفعل، فارمِ ببصرك إلى الأرض واستحيِ ممن فيها"

يعني إذا نظرت إلى السماء ولم يتحرك فيك شيء ولا زلت مصراً على فعل الذنب، ونظرت للأرض ولكلّ من فيها ولم تستحي ممن فيها، قال: "فاعدد نفسك في عداد البهائم."

لذلك فموضوع الحياء من الأمور التي يجب أن يتربى عليها الجيل، فتخيل إن كان هذا الجيل يسمع عبر البرامج وفي المجتمع عبارات مثل: كن نفسك، وكن جريئا ولا تهتم، فأيّ حياء سيكون فيهم؟

قال ابن سيرين: خرج زيد بن ثابت إلى صلاة الجمعة فرأى الناس رجوعًا من الصلاة فاستحيا، وكان من الصالحين، فلما رأى أن الصلاة فاتته، دخل دارًا من الدور، لئلا يراه الناس آتيًا للصلاة وهم قد قضوا منها، فقيل له: كيف تستحي من الناس وأنت الصالح والعابد؟ هل تفعل ذلك رياءً؟

فقال: من لا يستحي من الناس لا يستحيي من الله وإني أخشى أن يفتتن الناس بي.

زيد قد يكون لم يقدّر الوقت بين بيته والمسجد، أو أنه لم يسمع الأذان، ليس كحالنا هذه الأيام للمساجد مكبرات وفي الأجهزة تذكيرات بالأوقات، ومع ذلك فإنه استحيا من الناس أن يروا من يذكرهم ويأمرهم دائمًا بالصلاة ثم يكون هو من يتأخر عنها، فخشي أن يفتتن الناس به.

والفتنة بالعلماء أمرٌ فعلًا حاصل، فإن رأوا زلّة بقصد أو عن غير قصد، طاروا بها وأذاعوها ورأوا فيها سببًا للتكلم والتنقّص، يظنونهم يأمرون الناس بالتشدد وهم في سعة على أنفسهم! فزلة العالم يطير بها الشيطان..

وهذه قصة حصلت في زمن الإمام أحمد رحمه الله، كان له جار عاصٍ مجاهر في معصيته، لم تمنعه جيرة الإمام أحمد من المجاهرة، فدخل مرةً على الإمام أحمد في مجلسه، ومجلس الإمام أحمد على أقل الروايات أنه يحضر له ٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ شخص، هل تخيلتم عظم العدد؟ وفي المجلس كان يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعلماء يقدسون مجالس رسول الله فكانوا يغتسلون ويلبسون أحسن ثيابهم لأنه سيحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الإمام أحمد في مجلسه ويعلم الطلبة فإذا بهذا الجار يدخل يسلم على الإمام أحمد ، فنظر إليه الإمام أحمد ورد عليه باقتضاب وانقبض منه، لأنه يعلم وكثير من الحاضرين كثرة معاصيه وعدم اكتراثه

بأحد، فلم يسترسل معه الإمام وعاد لدرسه، فقال له الرجل: مالك يا أبا عبدالله انقبضت مني فإني والله قد انتقلت مما تعلمه عني. يعني لقد اختلفت حالي عن السابق وتغيرت..

فقال له الإمام أحمد: ما ذاك؟ يريد أن يعرف القصة.

قال: إني رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام كأنه على علو، يعني كأنه فوق جبل أو فوق تلة، والناس جلوس في أسفل، يعني تحته، فقام قائم منهم فقال: يا رسول الله ادعُ لي، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تتابع الناس، كل واحد يقوم يقول يا رسول الله ادع لي فيدعوا له، إلى أن ذهب كل الناس فلم يبقَ أحد إلا أنا، فأردت أن أقوم كما فعل الناس كلهم ليدعو لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحييت من قبيح ما كنت أفعل، فقال لي سول الله صلى الله عليه وسلم: يا فلان مالك ألا تقوم فأدعو لك؟ فقلت: يا رسول الله يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه، يعني ما أستطيع أن أقوم إليك وأنت تعلم أنا ماذا أفعل، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن كان يقطعك الحياء فقم فسلني فأدعو لك فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي - في تلك الفترة كان قد انتشر الناس الذين يسبّون الصحابة-

فقال له: أنك لا تفعل هذا المنكر فقم فسلني، يقول: فقمت فسألته فدعا لي، فانتبهت من نومي وإذا ما كنت أعمله هو أبغض ما علي، فتاب من لحظته، فقال الإمام أحمد لتلامذته: احفظوا هذا وحدثوا به فإنه ينفع.

نستفيد من هذا أن الاستحياء من الناس، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جعل هذا العبد في هذا المقام حتى سهلت له التوبة.

آخر أنواع الحياء وهو الأكبر والأعظم:

<u>الإستحياء الأخير (الرابع)</u> : وهو الاستحياء من الله.

أحد الصحابة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن جواز التعرّي إن كان في خلوة -جالسًا وحيدًا- فقال له صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»[أخرجه البخاري، صحيح]

لذلك النساء حتى لو كانت تصلي لوحدها، فهل تصلي بدون حجاب؟ لا يمكن.

فكيف بمن لا يستحيي أن يكشف عوراته أمام كثير من الناس!

قال كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم.

كلٌ منا يجلس يراهُ الآخرون، ولكن لا يعرف ما بخلد كل واحد إلا الله سبحانه.

قال نافع: خرجت مع ابن عمر في ليلة باردة إلى مكة، فإذا راعي غنم مقبلٌ علينا، فقال ابن عمر: الأغنام كلها لك؟

فقال: نعم، فقال: أعطني شاة، فقال الراعي: إنها ليست لي إنها لسيدي وأنا مملوك. فقال: قل له أكلها الذئب - وابن عمر يمتحنه ليزين له الكذب - فقال العبد المملوك: إذن فأين الله؟ يعني إن أخبرته أنه أكلها الذئب، ولكن أين نظر الله مني والله مطّلعٌ أني خنته؟ فبكى ابن عمر رضي الله عنه.

وقعت هذه الكلمة موقعها فاشترى الغلام والغنم، ووهبه له كله، والشاهد من القصة حياء الراعي من الله حق الحياء.

ونذكر أيضًا خبرًا أورده أبو الفتوح بن منحرق عن رجل تعلق بامرأة من الشام فهواها، فجاءها في ليلة ومعه سكين فاختطفها وكان شديد البدن ، فاستغاثت المرأة وصرخت أمام الناس، فكلما اقترب منه رجل هدده بالسكين فلا أحد يستطيع الاقتراب، فإذا ببشر الحافي وكان رجلًا من الصالحين والعباد وشيخ وقور فنظر هذه الجلبة، فأقدم إليه وقال إنه لن يفعل له شيئا لأنه رجل كبير، فاقترب منه وحكّهُ في كتفه وقال له شيئًا، فارتعد الخاطف وخارت قواه، فأقبلوا عليه يريدون أن يعرفوا ماذا حصل؟ فقال: والله ما أدري ولكن الشيخ أتاني وقال كلمة ما زاد عنها فال: إن الله ناظر إليك ما تفعل.

وحينها خارت قواه، وأدرك من الذي يستطيع أن يكون جريئا على الله؟

ولذلك قال حاتم الأصم: "لو أنّ صاحب خير جلس إليك لكنت تحترز منه" يعني ستكون منتبهًا لأقوالك وأفعالك وتحرص ألا يظهر منك إلا كلّ خير، فكيف بالله وهو مطلع عليك كل وقت وأنت لا تحترز من مراقبته لك!

خطوات عملية:

في ختام الدرس نذكر خطوات عملية لنجيب على سؤال: كيف أكون عبد الله الحيي؟ وكيف أولد هذا الحياء عندي؟ وهذه نقاط مهمة يجب أن نراجع فيها أنفسنا:

١ -<u>قارن بين نعم الله عليك وبين جنايتك وذنوبك:</u>

فحتى الأنبياء في حديث الشفاعة الطويل لما تطلب الأمم من أنبيائها الشفاعة، يعتذر كلّ منهم بذنوبهم التي أذنبوها.. وما ذنوب الأنبياء؟! وقد غفرها الله جميعًا، ولكنّه الحسّ المرهف للذنب وأثره!

إذن فأول ما يولّد شعور الحياء هو أن تستحي من نعم الله عز وجل عليك.

وإذا جئت مرة لتكتب نعم الله وتعددها فيأتي إليك الشيطان ليذكرك أنك دعيت بالشيء الفلاني لكنه ما تحقق لك، وأنك حُرمت من كذا وكذا، وبالطبع لن يذكرك بنعم الله التي ترفل فيها ليلا ونهارًا، فانتبه لحيلة الشيطان، وعدد المواقف التي لطف الله لك فيها، والتي سترك فيها، ومن غير كرمه ما كان أن يحصل لك، تذكر النعم التي لم تعتد على تذكرها، ثم أتبع قائمة النعم هذه بنقاط تقصيرك وقراراتك المؤجلة في التغيّر للأحسن، وقارن بينهم فكم أنعم وكم قصرت! وهذا مما يبعث على الحياء.

ولذلك قال الحسن بن محمد" :**الحياء يتولد من النظر إلى إحسان المحسن، ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كنت كذلك رُزقت الحياء إن شاء الله**".

٢- و يتولد من تعظيمك له وحبك له:

أنك كلما أحببت الله أكثر كان حياؤك منه أكثر

ولذلك لابن القيم كلمة ثمينة يقول:

إنما يتولد الحياء من امتزاج التعظيم بالمودة (يعني الحب والخوف) وهي تمام العبودية لله عزوجل.

٣-أن تراقب الله وتعلم أن الله معك حيث ما كنت يراك ويسمعك :

في كل وقت ليلًا ونهارًا، مسافرًا ومقيمًا، تستشعر مراقبة الله لك التي تجعلك تستحي من نظره إليك.

٤-أن تزهد في الدنيا:

مما يولد الحياء أن تدرك على ماذا نحن نتنافس في الدنيا؟ وهي لا تستحق ولا تزن عند الله جناح بعوضة، والدنيا ليست للخلود، فالحي سيموت والصحيح سيمرض والصغير سيكبر! ولا يوجد دواء اسمه أكسير الحياة، ولحظات السعادة لا تستمر لأحد كما أن لحظات الحزن لا تستمر.

واحد من الخلفاء الأمويين في الأندلس -وقد عاش أكثر من ٤٠ سنه وهو في الملك- لما مات وجدوا عنده صحفًا سجل فيها أيام الصفاء التي خلت من كل ما يكدره فعدّوها فإذا هي ١٤ يوما فقط من أصل ٤٠ سنة! الدنيا طُبعت على كدر، والنكد ملازمها، فأنت تنافس في الدنيا وهي لا تدوم لأحد.

فمما يعينك على تحقيق خلق الحياء أن تزهد في الدنيا، وتعلم أنه كلما زاد التنافس فيها زادت عداوة الناس..

وهناك مقولة: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

ولذلك قال النبي ﷺ «حُلْوَةُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الْآخِرَةِ، وَمُرَّةُ الدُّنْيَا حُلْوَةُ الْآخِرَةِ»[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح] فما أُخذ منك في الدنيا أو زهدت فيه أو حرمت نفسك منه لأجل الله فهو الشيء الجميل الذي سيكون لك في الآخرة، وحلاوة الدنيا التي لا نمنع عنها أنفسنا هي المر في الآخرة.

ولذلك أختم بما قالته فاطمة رضي الله عنها حينما شكت لأسماء رضي الله عنهم أجمعين

قالت: يا أسماء إني أستقبح ما يفعل في المرأة بعد موتها يطرح عليها ثوب فيصف جسدها فتحمل على أعناق الرجال .. واستشعروا حجم هذه العفة وهذا الشرف أن تفكر بحالها وحال النساء بعد موتها، حملت همّ أن يراها الرجال وتفاصيل جسمها الذي حرصت على تغطيته وستره في حياتها يراه الرجال في أحرج أحوالها! فقالت أسماء ألا أنبئك بشيء رأيته في الحبشة؟ قالت لها: نعم ، فدعت بجرائد رطبة -سعف النخل- فقامت بثيها ثم طرحت عليها ثوبًا، وهذه العادة موجودة للآن في مكة يضعون على جنازة المرأة مثل هيكل الحديد بديلًا عن السعف، فقالت

فاطمة: فإذا مِتُّ فاغسليني أنتِ وعلي (يعني زوجها) ولا يدخل عليّ أحد واصنعي بي كمثل هذا.

هذا حياؤها وسترها وعفّتها رضي الله عنها، وإذا حققت الحياء فاعلم أن الله يحبك، لأن الله سبحانه يحب من يتصف بصفاته فهو رحيم يحب الرحماء، جميل يحب الجمال، وحيي يحب من يستحي.

واعلم

أن الخير يصيبك لأن النبي ﷺ قال:" دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير" وإذا استحييت فاعلم أن إيمانك يزيد لأن الحياء والإيمان يقترنان، إذا زاد الحياء زاد الإيمان واعلم أن الحياء يحجزك عن الذنوب والمعاصي، واعلم أنك أيضا إذا تخلقت به فإنك تخلقت بخلق الإسلام، قال النبي ﷺ «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: حسن]

أسال الله أن يجعلني وإياكم من أهل الحياء، ومن أهل الله وخاصته، وأسال الله يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ،وأن يجعل خير أيامنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

.